قيمة التبسم والضحك في القرآن الكريم والسنة النبوية
(أغراضها، وأدلتها، وتطبيقاتها التربوية)

د. سند بن لافي الشاماني
أستاذ التربية الإسلامية والمقارنة المشارك
كلية التربية جامعة طيبة

قيمة التبسم والضحك في القرآن الكريم والسنة النبوية(أغراضها، وأدلتها، وتطبيقاتها التربوية)

د. سند بن لافي الشاماني

الملخص:

هدفت هذه الدراسة التعريف بقيمة التبسم والضحك من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية وأهميتها في مجال التربية، واستنباط التطبيقات التربوية لهذه القيمة، واستخدمت لتحقيق هذه الأهداف المنهج الاستنباطي، والمنهج الوصفي التحليلي، وتم الخلوص إلى أن التبسم والضحك قيمة مطلقة وردت أدلتها وأهدافها في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبيَّنت الأحاديث النبوية بجلاء عناية النبي ﷺ بهذه القيمة واستخدامه لها في تربيته وتعليمه وتوجيهاته، فكانت من أبرز وسائل التفاعل بينه ﷺ، وبين الصحابة ﷺ؛ لإيصال المعلومات والسلوك والاتجاهات، وأنه يجب تطبيق هذه القيمة من قبل أهم أقطاب العملية التربوية والتعليمية وهم: الوالدان، والمعلم، والمتعلم، لغرسها في النفوس وتحقيق أهدافها المعرفية والوجدانية والسلوكية.

The value of smiling and laughing in the Quran and the Sunnah(Their purposes, proofs and educational implications

Abstract

This study aimed at identifying the value of smiling and laughing through Quranic verses and Prophetic Hadiths , their importance in the field of education; and deducing some educational implications of this value. To achieve these aims, the deductive and the descriptive analytical approach were utilized. Results showed that smiling and laughing is an absolute value whose proofs have been narrated in the Quran and the Sunnah. The prophet (peace and blessing be with him) paid good attention to this value. The prophet (peace and blessing be with him) used this value in his daily life in educating his companions. It was used for delivering information, polishing attitudes and guiding behavior. Recommendations suggest the importance of using this value by teachers, parents and the community in order to achieve the aims of affective education.

Keywords: Quran and Sunnah - Smiling – laughing – educational implications

مقدمة:

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أمَّا بعد:

فإن التربية الإسلامية تربية متكاملة ومتوازنة وثابتة الأصول والقيم وصالحة لكل زمان ومكان؛ لأنها تستمد أسسها وأصولها وقيمها من المنهج الرباني الكامل، المتمثِّل في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

ولا ينكر عاقل ما تقوم به القيم من وظيفة كبيرة في حياة الأمم والشعوب؛ ولذا فإن مكانة الأمة وعظمتها تقاس بمقدار تمسكها بقيمها، كما أن من عوامل نهضة أية أمة سعيها الدؤوب لربط أجيالها بالقيم التي تؤمن بها، وإلا ضاعت الأجيال وافترقت بها السبل؛ ولهذا فإن القيم هي موضوع التربية، وهي في الوقت نفسه موضوع كل إنسان وكل جانب من جوانب الحياة، كما أن القيم هي كذلك موضوع العلوم الانسانية والطبيعية على السواء، والمجتمع الذي تسوده القيم يبقى مجتمعًا مطمئنا تكثر فيه الفضيلة وتتضاءل فيه الرذيلة وهذه غاية القيم.

والقيم- كما يقول (خياط،١٤١٦)- نوعان: منها قيم مطلقة، تعرف أحيانًا بالمبادئ أو بالأسس أو بالقواعد، أو بالأصول، وقيم نسبية خاصة متغيرة، ولا غضاضة فيها ولا حرج ما دامت لا تتعارض مع القيم الخلقية المطلقة، أو أنها منطلقة ومنبثقة منها.

ولقد ورد اللفظ العام للقيمة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ويكفي هنا إيراد مثال واحد وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].. قال الزجاج: "للحال التي هي أقوم الحالات، وهى توحيد الله والإيمان برسله"(القرطبي، د.ت: ٢٢٥/١٠)، بل إن كلمة أقوم تشمل كل جوانب الحياة، وبناءًا عليه يمكن القول أن القيمة تمثل أداة حكم وحواجز تردع الفرد المسلم عن الوقوع في المحظورات أو المحرمات أو التساهل في الأفضليات، وأنها ترتبط بالأمور المعنوية التي منها تطبيقات العلوم، فالقيمة أمر تطبيقي لا يمكن نشره والمحافظة عليه إلا عن طريق التربية؛ لأنها الأداة الفاعلة في ترسيخ القيم، وتحويلها من معرفة إلى ممارسة وتطبيق سلوكي، وهنا تتضح الصلة الوثيقة بين القيم والتربية، وأشد ما تكون وضوحًا عندما يكون مصدر تلك القيم هو الوحي الصادق، وأداة تعلمها هي التربية الإسلامية الراشدة.

والقيم الخلقية التي مصدرها وحي الله تعالى وشرعه؛ هي قيم مطلقة عامة وشاملة وثابتة، مهما اختلفت الأحوال والأزمان والأمكنة، فهي تناسب كل إنسان في كل مكانٍ وزمان؛ لأن الذي جعلها قيمًا هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلح له وما يصلحه، وقد بيَّن سبحانه ذلك في مواطن كثيرة من كتابه، كما أكَّدت عليه السنة النبوية؛ فالله تعالى يقول:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[تبارك: ١٤]، ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: « يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » (البيهقي: ١٤٢١ هـ: ١٩٤/١٠)، [أورده الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم ١٨٦، وقال عنه: حسن].

وقد تضمنت آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرًا من القيم المطلقة الثابتة الصالحة لكل إنسان في كل زمان وفي كل مكان، التي يجب على التربية، أن تحافظ عليها، وأن تعلمها لأفراد الأمة، وأن تسعى لترجمتها إلى سلوكٍ عملي تطبيقي؛ ومنها قيمة التبسم والضحك؛ وهما من الأمور الجبلية الطبيعية التي يشترك فيها البشر، وقد جاء في كتاب الله ذكر الضحك والبكاء قال الله تعالى:﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾[النجم: ٤٣].يقول ابن كثير رحمه الله: أي خلق في عباده الضحك والبكاء، وسببيهما، وهما مختلفان (التفسير،١٤٢٠هـ: ٤٦٦/٧).

والتبسم هو أفضل الضحك وأول مراحله؛ ومن نعم الله تعالى على الإنسان أن يرزقه وجهًا مبتسمًا دائمًا، يبتسم لكل موقف؛ لأنه راض بقضاء الله وقدره، يعيش دائمًا في حالة ارتياح نفسي، ويكون قادرًا . بإذن الله على التفكير السليم المنضبط، واختيار الكلمات المناسبة، التي يتعامل بها مع الناس، وقد اعتبر الإسلام التبسم أمراً تعبديا يتقرب به المسلم إلى ربه، ويزيد به حسناته، ويحقق به مصالح دينه ودنياه . كما سيأتي بيانه . إن شاء الله.

وقيمة التبسم والضحك الحسن في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاتها التربوية من أهم ما تفتقر إليه العملية التربوية المهتدية التي يجب أن تسود في المجتمعات الإسلامية، وهذا هو موضوع هذا البحث العلمي الذي أسأل ربي مخلصًا أن يلهمني فيه صواب القول وسداده.

أسئلة البحث:

انطلاقًا مما تقدم فإن موضوع هذا البحث يتجه إلى تعرف قيمة التبسم والضحك في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاتها التربوية، من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

١- ما ذا تعني قيمة التبسم والضحك في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

٢- ما أغراض قيمة التبسم والضحك في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

٣- ما التطبيقات التربوية لقيمة التبسم والضحك التي يمكن أن تمارس في الميدان التربوي، من قبل الوالدين، والمعلم، والمتعلم؟

أهمية البحث:

إن من أولى الناس اتصافًا بقيمة التبسم والضحك الحسن كل من له علاقة بالعملية التربوية؛ ويأتي الآباء، والمعلمون، وطلاب العلم في مقدمتهم، كما يجب أن تهتم مناهج التعليم بتدريس هذه القيمة، وتطبيقاتها التربوية المبثوثة في السنة النبوية الشريفة، ولأهمية هذه القيمة التربوية، وحاجة الآباء، والمعلمين، وطلبة العلم للإحاطة بها والتأسي برسول الله ﷺ فيها، امتثالاً للتوجيه الرباني العظيم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولكي تحقق العملية التربوية أهدافها السامية التي منها كسب القلوب، وكسر الحواجز، ورفع العزائم والهمم، بعيدًا عن الجفوة، والقسوة، والتسلط، والكبر، وحتى لا يكون المربي، والمعلم، وطالب العلم ممن قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إن منكم منفرين) (البخاري،١٤٢٢: ١/١٨٠)، جاءت فكرة هذا البحث من أجل إبراز أهمية هذه القيمة، لكي تتبوأ مكانتها في المجمعات المسلمة بعامة، والمجتمعات التربوية بخاصة.

ويمكن تلخيص أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

– انطلاقه من المصدرين الأساسين للتربية الإسلامية وما تقوم عليه من قيم وهما: القرآن الكريم، والسنة النبوية.

– يوضح قيمة التبسم والضحك في التأثير على الأبوين، والمعلم، والمتعلم،باعتبارهم أهم أقطاب العملية التربوية ولهم دور فاعل في نشرها.

– الإسهام في بيان التطبيقات التربوية للتبسم والضحك من خلال الأحاديث النبوية، كون السنة النبوية هي التطبيق الأمثل لمراد الله سبحانه في كتابه الكريم.

– تمكين المربي الذي يباشر التربية سواء الآباء، أم الأمهات، أم المعلمين، من التنبه لاستخدام قيمة التبسم والضحك لتقوية تأثيرهم على من حولهم.

– الإسهام في إثراء المكتبة التربوية بالدراسات المستنبطة من الكتاب والسنة.

أهداف البحث:

١- التعريف بقيمة التبسم والضحك من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية وضرورتها في مجال التربية.

٢- بيان الأغراض التربوية لقيمة الضحك والتبسم.

٣- استنباط بعض التطبيقات التربوية لقيمة التبسم والضحك المتصلة بالعملية التربوية والتعليمية.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهجين الآتيين:

١- المنهج الوصفي التحليلي بهدف استنتاج التطبيقات التربوية لقيمة التبسم والضحك من خلال دراسة الأحاديث النبوية.

٣- المنهج الاستنباطي لدراسة النصوص بهدف استخراج معاني القيمة التربوية للتبسم والضحك، وأغراضها المدعمة بالأدلة الواضحة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

مصطلحات البحث:

القيمة:

القيمة اسم هيئة من: قام الشيء بكذا يعني كان ثمنه المقابل له كذا. ويذكر ابن منظور أن القيام يأتي بمعنى المحافظة والملازمة، كما يأتي بمعنى الاستقامة، فيقال أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام.. (ابن منظور ١٤١٤:١٢/٤٩٨).

وقد تطورت الكلمة لتستعمل بمعنى القدر والمنزلة، وهو انتقال من الدلالة المادية إلى الدلالة المعنوية عما في الأشياء من خير وجمال أو صواب (علوان، د.ت:٩١) .

وتعدَّدت وجهات النظر في تحديد مفهوم مصطلح القيم؛ فهناك من يرى قصرها على الاهتمامات والرغبات غير الملزمة للأفراد والمجتمعات، وآخر يراها واسعة ومرادفة للثقافة، وثالث يرى أنها المعتقدات، ورابع ينظر الى أنها الاتجاهات أو العادات(خياط،١٤١٦.)، وليس من غرض هذا البحث تتبع هذه الآراء واستعراضها لأنه في مجالٍ خاص؛ وهو القيم الإسلامية.

ولعلَّ من أشمل المفاهيم لمصطلح القيم من وجهة النظر الاسلامية هو أنها: ضوابط اجتماعية تضبط التفاعلات والعلاقات بين الأفراد، ومحددات للسلوك تحدد السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب ... والدين الإسلامي هو المصدر الأساسي للقيم والأفكار المختلفة التي تحكم التربية الاسلامية والتي تضبط سلوك الأفراد، والنفس البشرية بفطرتها التي خلق الله الناس عليها تقبل هذه القيم والتي جاء بها الدين الإسلامي، حيث تساير هذه القيم تلك الفطرة وتقويها وتنميها وتزكيها وتهذبها وتنظمها وتسخرها لإصلاح الفرد والمجتمع، ولا ينكر الإسلام القيم التي تتكون نتيجة للتفاعل الاجتماعي، ولكنه جعل لها حدودًا وضوابط، إذ لابد أن تكون تلك القيم متسقة مع شرع الله، وألا تصطدم مع نصٍ شرعي.(مطر،١٤٠٦: ٧٩-٨٠). وهذا المفهوم هو ما يتبناه هذا البحث لشموله، ونصه على مصادر القيم الثابتة والمتغيرة.

الضحك:

الضحكُ أعم من التبسُّم، فكل تبسم ضحك، وليس كل ضحك تبسمًا؛ ولذلك قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: « قال أهل اللغة: التبسم مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم»

(١٠:١٣٩٧/٥٠٤)، ويقول ابن منظور: تسمى الأسنان في مقدم الفم: الضواحك، وهي الثنايا والأنياب وما يليها، وتسمى النواجذ وهي التي تظهر عند الضحك. والضَّحِكُ: ظُهُورُ الثَّنَايَا مِنَ الْفَرَحِ.(د.ت:١٠/٤٥٩).

التبسم:

عرَّف أهل اللغة التبسم أنه مبتدأ الضحك، وهو انفراج الفم بلا صوت؛ إذ يمثل أقل الضحك وأحسنه؛ ويكون غالبًا للسرور. قال الله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]. يقول الزجاج: التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. والتبسم إبداء مقدم الفم لمسرة؛ وهو دون الضحك يقال: بسم يبسم وتبسم وابتسم.(ابن فارس،١:١٣٩٩/٢٤٩).

والابتسامة لدى الفيسيولوجيين هي: تعبير وجهي يتشكل من خلال ثني العضلات الأكثر وضوحًا التي تكون قريبة من طرفي الفم (Freitas-Magalhães, & Castro, 2009) .

ويعرف الحقباني الابتسامة أنها: "صفة إيجابية تقود (المرء) إلى التغيير والإحساس بالسعادة، وتمنحه صحة جيدة، وعلاقات مميزة مع الآخرين بحركات بسيطة تغنيه عن ألف كلمة، فهي لغة من لغات الجسد لا تعرف ثقافة ولا بلدًا" (١٤٣٤:ص ٨).

وتأسيسًا على ما سبق يمكن تعريف الابتسامة إجرائيًا أنها أقل الضحك وأحسنه، وأنها عبارة عن انفراج الشفتين وبروز الأسنان مع انبساط الأسارير، وهي طريق مختصر لكسب القلوب، ومفتاح لهداية الكثيرين، وباب يوصل إلى النفوس، ووسيلة حية للتعبير عما يجول في خاطر الإنسان تجاه أخيه.

التطبيقات التربوية:

التطبيقات في الاصطلاح هي "مجموعة من المفاهيم والحقائق والمعارف والمبادئ والاتجاهات التي ينبغي على المتعلمين تطبيقها تطبيقًا عمليًّا، ووعيها ومعايشتها بطريقة تنمي قدراتهم على الأداء العملي بشكلٍ جيد، وتساعدهم على تكوين السلوكيات والعادات والاتجاهات الحسنة، وتعمل على تنمية ميولهم وإشباع حاجاتهم بشكل إيجابي لتحقيق الشخصية المتكاملة للإنسان الصالح في ضوء التصور الإسلامي"(الفاربي، ١٩٩٤ ، ص ٢٧٢).

والمقصود بالتطبيقات التربوية في هذا البحث: الاستفادة العملية من قيمة التبسم والضحك الواردة في السنة النبوية التي يمكن أن تمارس في الميدان التربوي، من قبل الوالدين، والمعلم، والمتعلم، وكل من له صلة بالعملية التربوية، وإحالتها إلى واقع تطبيقي.

حدود البحث:

سيكون الحد الموضوعي لهذا البحث هو قيمة التبسم والضحك التي اهتمت بها كتب التفسير، والحديث النبوي، وضرورة تعلمها، وممارسة تطبيقاتها التربوية من قبل: الأبوين، والمعلم، والمتعلم نظرًا لأنهم أهم الأطراف الفاعلة في العملية التربوية.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة علمية تربوية عنيت بالتطبيقات التربوية في موضوع هذا البحث، ولكن ثمة دراسات ذات علاقة بالموضوع؛ ومنها:

١- دراسة الخطيب (١٤٢٧): بعنوان: لغة الجسم في السنة النبوية دراسة موضوعية، كان هدفها: إظهار مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بلغة الجسم، ومقدار استخدامه لها، ومدى معرفة الصحابة رضي الله عنهم بها و أثرها، وقد

استخدم في بحثه ثلاثة مناهج هي: الاستقرائي الناقص، و المنهج الاستنباطي، والمنهج النقدي. وخلص إلى عددٍ من النتائج من أهمها: ورود عددٍ كبير من الأحاديث في لغة الجسم، وأن الأحاديث الصحيحة فيها أكثر من الحسنة والضعيفة، وهذا يدل على مقدار وضوح لغة الجسم في السنة النبوية والدور البارز لها.

٢- دراسة الحلو (١٤٢٩): الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين، دراسة قرآنية موضوعية، هدفت من خلال التفسير الموضوعي للقرآن الكريم إلى تحليل الآيات القرآنية في موضوع الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين، واستخدمت المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على البحث والنظر، وقد خلصت إلى عددٍ من النتائج من أبرزها: اختلاف تفسير الناس لما تنقله أدوات الاتصال الصامت من شخصٍ لآخر، وأن العقيدة الإسلامية هي أقوى الضوابط التي يمكن أن تتحكم في رسائل الاتصال من حيث القبول أو الرد، وأن رسالة الاتصال الصامت قد تكون لمحة قصيرة ولكن تأثيرها قد يمتد ليغير سلوكيات وعادات.

٣- دراسة ربايعة (١٤٣١): حول بيان لغة الجسد في القرآن الكريم، وقد استخدم فيها المنهج الاستقرائي التحليلي، وخلص إلى نتائج منها: أن التواصل بين البشر لا يتم من خلال الكلام المنطوق فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى لغة الجسد، وقد تضمّن القرآن الكريم عديدًا من طرق إيصال المعاني للسامع والقارئ التي تم فيها توظيف لغة الجسد المتمثلة في: لغة العيون، ولغة الوجه، ولغة الإشارات، وحركات الأعضاء، وهيئة الجسم وأوضاعه المختلفة، كما حذر القرآن الكريم من ممارسة بعض الحركات الجسدية التي قد تؤذي الآخرين في مشاعرهم مثل الغمز واللمز.

٤- دراسة العمري (١٤٣٤): الدلالات التربوية لتعبيرات الوجه من خلال صحيح الإمام البخاري وتطبيقاتها التربوية، وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان الدلالات التربوية لإيماءات الوجه، و تعبيرات العيون، والضحك، من خلال صحيح الإمام البخاري، والتطبيقات التربوية لتعبيرات الوجه في الأسرة والمدرسة؛ واستخدم في دراسته المنهجين: الاستنباطي، والوصفي التحليلي، وخلص إلى عددٍ من النتائج من أهمها: أن صحيح الإمام البخاري يحتوي على كثيرٍ من الأحاديث التي تشتمل على دلالات تربوية لتعبيرات الوجه، وأن التعبير الواحد للوجه قد يحمل أكثر من دلالة في الوقت نفسه، وأنَّه يمكن للمربي في البيت والمدرسة الاستفادة من تعبيرات الوجه في مجال التربية والتعليم.

٥- دراسة صيام (١٤٣٧): التبسم والضحك في السنة النبوية دراسة موضوعية . التي هدفت إلى إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالتبسم والضحك التي تعامل معها الناس تعاملًا خاطئًا؛ إما بالافراط وإما بالتفريط، وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية، والاستنباطي في الاستدلال، والوصفي في عرض الموضوع، والتحليلي في مناقشة بعض القضايا العقائدية والحديثية والفقهية والتربوية، وانتهى إلى مجموعة نتائج كان من أهمها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثير التبسم والبشاشة مع أهله، وأصحابه، وكل الناس؛ مما جعلهم يلتفون حوله ويقبلون دعوته بالإخلاص والمحبة، وكان يضحك أحيانًا، وأن للتبسم والضحك أهدافًا وآدابًا لابد من التزامها ومراعاتها.

وهكذا نلاحظ أن الدراسات السابقة كلها حول اللغة غير المنطوقة، وكل منها يتخذ جانبًا معينًا، فكان هدف دراسة الخطيب (١٤٢٧) إظهار مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بلغة الجسم، ومقدار استخدامه لها، ومدى معرفة الصحابة رضي الله عنهم بها وأثرها عليهم، في حين هدفت دراسة الحلو(١٤٢٩) إلى تحليل الآيات القرآنية في موضوع الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين، في حين كان هدف دراسة ربايعة (١٤٣١) بيان لغة الجسد في القرآن الكريم، ودراسة صيام (١٤٣٧) هدفت إلى إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالتبسم والضحك مع ضرورة الالتزام بأهدافها وآدابها، ولم تتعرض هذه الدراسات الأربعة للتطبيقات التربوية، في حين اهتمت دراسة العمري (١٤٣٣)؛

باستنباط الدلالات التربوية لإيماءات الوجه، وتعبيرات العيون، والضحك، من خلال صحيح الإمام البخاري فقط، والتطبيقات التربوية لتعبيرات الوجه في الأسرة والمدرسة.

وقد جاءت الدراسة الحالية من أجل التعريف بقيمة التبسم والضحك؛ أغراضها وأدلتها في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وتطبيقاتها التربوية على أهم عناصر العملية التربوية، وهذا ما لم تتعرض له الدراسات السابقة، سوى دراسة العمري التي تعرضت لقيمة الضحك من خلال مصدرٍ واحد من مصادر السنة النبوية؛ وهو صحيح الإمام البخاري رحمه الله، واكتفى بإيراد سبعة أحاديث فقط في ضحك التعجب، ولقد استفادت هذه الدراسة من مناهج الدراسات السابقة، ومادتها العلمية.

قيمة التبسم والضحك في القرآن الكريم والسنة النبوية:

الله سبحانه وتعالى هو الذي يحيي ويميت، ويضحك ويبكي؛ قال تعالى:﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[النجم:٤٣-٤٤]، والضحك شيء فطري في الإنسان، وله تأثيرات إيجابية في بناء شخصيته ونموها واتزانها لما تمنحه هذه القيمة من سرور للذهن والوجدان.

كما ورد في شرح العقيدة الطحاوية أن الضحك صفة من صفات الباري جل جلاله (ابن أبي العز، ١٤٢٦: ١٩٤/١)، وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الضحك صفة حقيقية لله تبارك وتعالى، فربنا يضحك لكن ليس كضحك المخلوقات على حد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١].

ومما ورد أيضًا في ضحك الله تعالى الحديث المتفق عليه: « يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الأخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد ».(مسلم، ١٤٢٢: ١٥٠٤/٣)، فهذا الحديث دليلٌ صحيح صريح على إثبات صفة الضحك لله على الوجه اللائق بجلاله تعالى، لا يشبه أحدًا من خلقه، وهذه الصفة من الصفات الفعلية التي يفعلها الله إذا شاء متى شاء كيف شاء على الوجه اللائق به سبحانه (القحطاني، د.ت: ١٧٣/١).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله، عن أبي رزين قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ضحك ربنا عز وجل من قنوط عباده وقرب غيره" فقال أبو رزين: أو يضحك الرب عز وجل؟ قال: «نعم»، فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا» (ابن حنبل، ١٤٢١: ١٠٦/٢٦)؛ (صححه الألباني رحمه الله في"السلسلة الصحيحة" (٢٨١٠)، فالله سبحانه يضحك كما يشاء، ويقصد بضحكه أولياءه عندما تعجبه أفعالهم، ويصرفه عن أعدائه فيما يسخطه من أفعالهم، فهو يضحك إلى قوم، ويصرفه عن قوم، ولا يضحك إلا عن رضى، وليس لنا أن نتخيل كيفيته، أو نسأل عنها. قال السلمي في شرح العقيدة الواسطية: "ومن هذه الصفة العظيمة وهي صفة الضحك يستفاد مسلك تربوي خلقي"(١٤/٤).

والضحك صفة في الإنسان، جبله الله عز وجل عليه، وجمعه مع ضده، فكما أنه سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق الذكر والأنثى فكذلك جل شأنه: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [النجم:٤٣].

وللضحك درجات كما تقدم، وأعلاها التَّبَسُّم الذي هو أكثر ضَحِك الأَنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام قد تبسَّم لنملةٍ صغيرة في وادٍ مترامي الأطراف عندما سمعها تحذر معشرها من جيشه، كما قال الله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل:١٩]. يقول السعدي (١٤٢٠)" تبسَّم سليمان عليه السّلام إعجابًا منه بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل والتعجب

في موضعه وألا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم ... فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب، وعدم التبسم والعجب مما يتعجّب منه يدل على شراسة الخلق والجبروت، والرسل منزهون عن ذلك" (١/٦٠١).

أما الرسول الخاتم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم؛ فقد صحَّت بضحكه الآثار و تظاهرت به الأخبار، حيث نقل الصحابة رضي الله عنهم أحوال ضحكه كما نقلوا سائر أحواله.(زواوي، د. ت: ١٤٧/١) وكان ضحكه التبسم، ونهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكانت البسمة أقرب ما تكون إلى قلبه وشفتيه، حيث اتَّصف صلى الله عليه وسلم بالتبسُّم في سائر يومه، وجميع حياته؛ فكان أكثر الناس تبسُّمًا، وكان يمازح أصحابه ويلاطفهم، ولكنه لا يقول إلاَّ حقًّا، وقد قال عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: « ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ».(ابن حنبل،١٤٢١: ١٩١/٤)، وكان صلى الله عليه وسلم لا يكثر الضحك ولا يقهقه، أي لا يرفع صوته به، بل كان وقورًا متزنًا هادئًا، كما وصفه جابر بن سمرة رضي الله عنه، حيث قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان طويل الصمت قليل الضحك » (ابن بشران،١٤٢٠: ٣٤٢/١)، وفي وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: « كان ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلًا من رجالكم إلا أنه كان بسَّاما» (ابن حجر، ١٣٧٩: ٤٦١/١٠)، وقال صالح أبو الخليل: لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم:٥٩-٦١] لم ير ضاحكًا إلا مبتسمًا حتى مات صلى الله عليه وسلم (القرطبي،١٣٨٤: ١٢٤/١٧).

وكان صلى الله عليه وسلم يغرس في نفوس أصحابه هذه القيمة فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق » (مسلم، د.ت: ٢٠٢٦/٤) أي: بوجه طليقٍ ومعناه: سهلٌ منبسط باسمٌ مشرق، وفي هذا الحديث دليل على أن طلاقة الوجه تبشر بالخير، وتكون سببًا في اقبال الناس على المبتسم، في حين أن الوجه العبوس سبب لنفرة الناس.

وروى البغوي في شرح السنة عن قتادة قال: سُئِل ابن عمر، هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل، وقال بلال بن سعد: أدركتهم يشتدون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل، كانوا رهبانًا (١٤٠٣: ٣١٨/١٢).

والوجه المبتسم من نعم الله تعالى على الإنسان، وصاحبه ينظر إليه بشيءٍ من الثقة التي لا توحي بها الملامح المتجهمة تحت وطأة الآلام والأحزان؛ وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم لقاء الناس بوجهٍ طليق – أي: بوجهٍ باسم – من قبيل المعروف، كما تقدم، بل رفع صلى الله عليه وسلم قدر الابتسامة إل مستوى الصدقة فقال صلى الله عليه وسلم: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة». (الترمذي، ١٣٩٥: ٤٢٧/٧).[أورده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥٧٢، وقال: حسن لغيره].

ويؤكد الأطباء اليوم أن الضحك يعالج الربو والصداع النصفي ومعاناة القولون العصبي، ويساعد في تنظيم الدورة الدموية وتقوية عضلة القلب وخفض ضغط الدم المرتفع ومقاومة الأرق، كما أكد العلماء أن الضحك يحسن الحالة النفسية للمريض، وأنه موهبة طبيعية لإنعاش الأعضاء الداخلية وإحداث تدليك عفوي لها، كما أن الابتسامة تحفظ للإنسان صحته النفسية والبدنية، وأنها نوع من العلاج الوقائي لأمراض العصر (الحقباني، ١٤٣٤: ٦٠-٦١).

ومن الضحك المندوب مضاحكة الزوجة وملاعبتها؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه: « تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم، فقال: بكرًا أم ثيبًا؟ قلت: بل ثيبًا، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك » (البخاري، ١٤٢٢: ٦٦/٧). أما الضحك الممنوع فمنه ما ورد في حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به الناس، ويلٌ له، ويلٌ له» (البيهقي، ١٤٠٨: ١٢٥)، وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب» (البخاري،١٤٠٩: ٩٨/١)، [أورده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥٠٦]، والمقصود بقوله تميت القلب أي تجعله قاسيًا لا يتأثر بالمواعظ كالميت، والفهم الذى يستقيم مع النظرة الوسطية للإسلام هو أن كثرة الضحك تميت القلب وقلة الضحك تميت القلب، فحياة القلب في الاعتدال، والاعتدال والوسطية هما روح الشريعة الإسلامية، وقيمة التبسم والضحك من مظاهر الاعتدال والإنسانية.

والقهقهة وهي الضحك بصوتٍ مرتفع بحيث يُسمع من بُعد تدل على خفة العقل وسوء الأدب، كما أن عدم التبسم والعجب مما يتعجّب منه يدل على شراسة الخلق والجبروت، والرسل منزهون عن ذلك) (السعدي، ٦٠٣)، قالت عائشة رضي الله عنها: "ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا قطّ حتى أرى منه لهواته، وإنما كان يتبسم» (البخاري،١٤٢٢: ٢٤/٨). واللهوات جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم يعني: ما يكون ضاحكًا تامًا مقبلاً بكليته على الضحك أو مبالغاً فيه، بحيث تبدو اللهاة التي في آخر الفم المعلقة في أصل الحنك، ولذلك كان هذا النوع من الضحك مخالفًا لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد استعرض ابن حجر رحمه الله عددًا من الأحاديث المتعلقة بالتبسم والضحك ثم قال: «والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان لا يزيد في معظم أحواله عن التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك؛ والمكروه في ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط؛ لأنه يُذهب الوقار»(ابن حجر،١٣٧٩: ٥٠٥/١٠).

وهكذا يتبين بجلاء أهمية قيمة التبسم والضحك المسموح به شرعًا في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحاجة الناس إلى تعلمها، والاستفادة من تطبيقاتها في العملية التربوية.

أغراض التبسم والضحك التربوية وأدلتها في الكتاب والسنة النبوية:

جمع الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه أحاديث كثيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبوب لها بعنوان: (باب التبسم والضحك)، وكذلك الإمام مسلم رحمه الله أورد في صحيحه أحاديث كثيرة بوب لها الإمام النووي رحمه الله فقال في كتاب الفضائل (باب تبسمه وحسن عشرته صلى الله عليه وسلم)، كما وردت أحاديث التبسم والضحك مبثوثة في كتب السنة الأخرى كالسنن والمسانيد وغيرها، وكتب السيرة، وباستقراء بعض تلك الأحاديث الشريفة، وفهم العلماء لها يتبين أن للتبسم والضحك في السنة النبوية أغراضًا تربوية كثيرة، وسوف يورد البحث أبرز تلك الأغراض مع أدلتها على النحو التالي:

١- التبسم قربة لله تعالى وطلبًا للثواب:

التبسم والبشر من آثار أنوار القلب كما قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس:٣٨-٣٩] قال ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين وجه طليق وكلام لين (المناوي،١٤١٥: ٢٩٧/٣).

ومن أوضح الأدلة على هذا الغرض قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقةٌ» (ابن رجب،١٤٢٤: ٦٩٠/٢) وقد [أورده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥٧٢، وقال: حسن لغيره] ومعناه إظهارك البشاشة والبِشر له إذا لقيته تؤجر عليه، كما تؤجر على الصدقة، فكما أن الكلمة الطيبة صدقة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الطيبة صدقة »(البخاري،١٤٢٢: ١١/٨)،فإن التبسم في وجه الأخ كذلك صدقة.

وعن أبي ذر رضي الله عنه: قال لي النبي – صلى الله عليه وسلم– « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق »(مسلم، د.ت: ٢٠٢٦/٤)، والمعروف هو ما عرف في الشرع، وكل ما لا يتنافى معه، وهو الشيء الذي لا يجوز خلافه، وقد عرفه صاحب النهاية أنه: "اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة: أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه"(ابن الأثير،١٣٩٩: ٢١٦/٢)، ويمكن تعريفه تربويًا أنه النَّصَفَة وحُسْن الصُّحبة مع الأهل وطلبة العلم وغيرهم من الناس.

وللبزار بسندٍ حسن من حديث أبي هريرة رفعه «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق». (ابن حجر،١٣٧٩: ٤٥٩/١٠). يعني لا تتسع أموالكم لعطائهم فحسنوا أخلاقكم لصحبتهم فإن ذلك في إمكانكم فلا عذر لكم في تركه. وقال الصنعاني في سبل السلام: (أي لا يتم لكم شمول الناس بإعطاء المال لكثرة الناس وقلة المال فهو غير داخل مقدور البشر، ولكن عليكم أن تسعوهم ببسط الوجه والطلاقة ولين الجانب وخفض الجناح ونحو ذلك مما يجلب التحاب بينكم فإنه مراد الله، وذلك فيما عدا الكافر، ومن أُمِرَ بالإغلاظ عليه) (د. ت، ٦٩٦/٢).

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريبٍ، هينٍ، لينٍ، سهل » قال: (الطبراني(د.ت):٢٣١/١٠)"وفي هذا الحديث تربية على ملاطفة الناس، ولين الجانب لهم. وقد[أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٩٣٨]، وصفوة القول أن البشاشة، والتبسم في وجوه الناس مصيدة لقلوبهم، وفاعلها تقربًا إلى الله مأجور، ومحرم على النار؛ ولذا فإن المسلم مأمور بمجاهدة نفسه على هذه القيمة قربة لله تعالى، ومن أولى الناس بتحقيق هذا الغرض الأبوان، والمعلم، والمتعلم.

٢- التبسم والضحك للتعجب والإعجاب:

يقول أهل اللغة أن التّعجّب صيغة يراد بها استعظام أمرٍ أو استغرابه أو هو استعظامُ أَمْر ظاهر المزيّة خافي السَّبب. أما الإعجاب فمعناه: الشعور بالسرور والانبساط عند ظهور ما هو حسن وجميل، ويقال: أعجبه حسن التصرف بمعنى راقه وسره، ومال إليه، وحمله على العجب منه، وأعجبه الأمر: حمله على العجب منه. وأعجب الشيء فلانًا: عجب منه وسُرَّ به (مجمع اللغة العربية، د.ت:٥٨٤/٢).

والتعجب صفة من الصفات الاختيارية (الفعلية) التي يفعلها الله تعالى متى شاء كيفما شاء، وهي تتعلق بمشيئته واختياره سبحانه وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة (السقاف،١٤٢٦). أمَّا في حق الإنسان فالتعجب منشأهُ غرابة الفعل وأنه حدث على شكلٍ يثير العجب والغرابة؛ لأن الإنسان فوجئ بالفعل الذي هو محل التعجب، وإذا كان هذا هو مثار التعجب عند المخلوق، فإن الله تعالى منزه عن هذه المعاني؛ لأنه سبحانه هو الذي قدر ذلك الفعل الذي هو محل التعجب، فلا ترد في حقه سبحانه هذه المعاني، وتلك اللوازم لتعجب الإنسان.

وقد تضمنت آيات الكتاب العزيز الإشارة إلى أن من الضحك ما يكون بسبب التعجب، فإذا تعجب الشخص من أمرٍ ما، فقد يضحك؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[هود:٧١-٧٢]، فضحك امرأة إبراهيم عليه السلام كان للتعجب.

ومن الضحك ما يكون سببه الفرح والسرور، كما قال الله تعالى في سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾.فالمؤمن إذا رأى يوم القيامة ما وعده الله من النعيم سُرَّ لذلك واستبشر وضحك؛ يقول الإمام العيني رحمه الله: "إذا فرح القلب تبلج الجبين" (العيني،د.ت:١٧/ ١٧١)، أي إذا سر القلب حصل التبسم أو الضحك.

أما التبسم والضحك في السنة الشريفة، فقد كان تطبيقًا للقرآن الكريم، حيث عرف النبي صلى الله عليه وسلم بالبِشْر والابتسام، حتى في لحظات الغضب، فكان يبتسم ابتسامة المغضب.

والأحاديث الدالة على هذا الغرض مبثوثة في كتب السنة النبوية، منها حديث أَبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أتى رجل النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال: هلكت، وقعت على أهلي في رمضان، قال: "أعتق رقبة"، قال: ليس لي، قال: "فصم شهرين متتابعين"، قال: لا أستطيع. قال: "فأطعم ستين مسكينًا"، قال: لا أجد. فأتي بعرق فيه تمر، قال إبراهيم: العرق: المكتل، فقال: "أين السائل؟ تصدق بها"، قال: على أفقر مني؟ والله ما بين لابتيها أهل بيتٍ أفقر منا، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، قال: "فأنتم إذًا" (البخاري،١٤٢٢: ٦٦/٧). فضحك النبي صلى الله عليه وسلم كان تعجبًا من حال الرجل لكونه جاء أوّلاً هالكًا، ثم انتقل لطلب الطعام لنفسه وعياله، أو تعجبًا من رحمة الله به وسعته عليه (القسطلاني: د.ت:٩/٦٠).

وحديث أنس بن مالك قال: ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، أو تبسم فقال: ألا تسألوني من أي شيءٍ ضحكت؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ من أي شيءٍ ضحكت؟ قال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول: أي رب أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال: بلى، قال: فإني لا أقبل عليَّ شاهدًا إلاَّ من نفسي قال: فيقول تبارك وتعالى، أو ليس كفاني شهيد وبالملائكة الكرام الكاتبين شهودًا. قال: فيردد هذا الكلام مرارًا قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل فيقول: بعدًا لَكُنَّ وسُحقًا، عنكن كنت أجادل ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] (البزار،٢٠٠٩: ١٤/٤٤). ففي هذا الحديث يضحك النبي صلى الله عليه وسلم، أو يبتسم، وينبه الصحابة رضي الله عنهم كي يسألوه عن موجب هذا الضحك والتبسم، ثم يبين لهم السبب، ليكون ذلك أدعى لتحقيق الهدف التربوي لهذه القيمة.

ومن الأحاديث الدالة على الإعجاب ما رواه ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك، قال: بينما المسلمون في صلاة الفجر لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم صفوف، فتبسم يضحك، ونكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل له الصف، فظن أنه يريد الخروج، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فأشار إليهم أتموا صلاتكم، فأرخى الستر وتوفي من آخر ذلك اليوم» (البخاري، ١٤٢٢: ١/١٥١)، قال العيني في شرحه: وسبب تبسمه فرحه بما رأى من اجتماعهم على الصَّلاة واتفاق كلمتهم وإقامتهم شريعته ولهذا استنار وجهه صلى الله عليه وسلم (عمدة القارئ، ٥/٢٠٥)، ولا ريب أن اجتماع الكلمة، وحرص الصحابة على ذلك مبعث للفرح والسرور من نبي الرحمة الذي امتن الله تعالى به على هذه الأمة، فقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٨-١٢٩] وعن أبي سعيدٍ الخدري، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها (أي: يقلبها ويميلها) الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلًا(هو: ما يعد للضيف من

الطعام والشراب) لأهل الجنة» فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى» قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا » (البخاري،١٤٢٢: ١٠٨/٨). يقول القسطلاني عن إعجابه وسروره صلى الله عليه وسلم:" إذ أعجبه إخبار اليهودي عن كتابهم بنظير ما أخبر به – صلى الله عليه وسلم– من جهة الوحي، وقد كان يعجبهُ موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فكيف بموافقتهم فيما أنزل عليه"(١٣٢٣: ٣٠١/٩)، وقد كان نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة رضي الله عنهم نظر التفات وتعجب وتنبيه، كما كان ضحكه ضحك فرح للمطابقة والموافقة، وكلاهما غرض تربوي ينبغي أن يسعى كل من يتحمل مسؤولية التربية من أب وأم ومعلم ومتعلم للعمل على تحقيقه.

٢- التبسم والضحك للملاطفة والموافقة:

معنى الملاطفة في اللغة: إلانة القول، والرفق بالملاطف، ويقال: لاطَفَهُ: بارّه ورَفَقَ به، ولاطفه: ألانَ له القولَ، ويَهْتَم بِمُلاَطَفَةِ النَّاسِ: بِحُسْنِ مُعَامَلَتِهِمْ، مُدَاعَبَتِهِمْ، مُصَانَعَتِهِمْ، وأَلْطَفَ له في القول، وفي المسألة: سأل سؤالًا لطيفًا. (مجمع اللغة العربية، د.ت:٨٢٦/٢).

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١٩]بمعنى: وليترفق في شرائه ما يشتري، وفي طريقه ودخوله المدينة (الطبري،١٤٢٠: ٦٢٦/١٧). والأمر بالتلطف؛ أمر بالسماحة والسهولة والملاطفة في المعاملة، وهؤلاء الفتية المباركين تواصوا فيما بينهم بحسن التّخلق وجميل الترفّق.

ومن الأدلة على هذا الغرض أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصحابه يتحدثون في أمور الجاهلية — وهم في المسجد– فيمر بهم ويبتسم فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى غضاضة في أن يبتسم معهم، فعن سماك بن حرب، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله — صلى الله عليه وسلم؟ قال: "نعم، كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون، فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون، ويبتسم"؛(الطبراني،١٤١٥: ٢٢٦/٢).

وعن أبي سعيدٍ – رضي الله عنه– قال: "انطلق نفر من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حيٍ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلُدِغ سيد ذلك الحى، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء. فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدِغ، وسعينا له بكل شيءٍ لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلًا. فصالحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي –صلى الله عليه وسلم– فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا، فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم".(البخاري،١٤٢٢: ٩٢/٣). وكأنه صلى الله عليه وسلم أراد المبالغة في تأنيسهم، والموافقة على تصرفهم رضي الله عنهم، وهذا غرض تربوي مهم.

٣- ضحك المغضب:

قد يكون الغضب أحيانًا دافعًا للضحك، وهو كثيرًا ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه، وسببه: تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب، وشعور نفسه بالقدرة على خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون ضحكه لملكِهِ نفسَه عند الغضب، وإعراضه عمن أغضبه، فقد يضحك المرء، ولكن ضحكه لا يدل بالضرورة على السرور، بل قد يحمل في طياته ألمًا وضيقًا، وقد لا يعكس حقيقة شعور الإنسان. ويشير المتنبي إلى هذا المعنى (العكبري، د.ت:١/١٥٢) بقوله:

إذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزةً * فلا تظنَّنَّ أنَّ الليثَ يبتسمُ

وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه من أوضح الأدلة على هذا الغرض التربوي للضحك في السنة النبوية الشريفة، وقد جاء في كثيرٍ من كتب المحدثين، ومنه ما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله، حيث خصه بابٍ مستقل، وفيه: «وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك». فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك». فقمت»، وفي نهاية الحديث بعد نزول أية توبة الله سبحانه على كعب وصاحبيه رضي الله عنهم، «فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يومٍ مر عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه» (البخاري،١٤٢٢: ٣/٦). قال ابن حجر: إنما اشتد الغضب على من تخلف، و إن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين؛ لأنهم بايعوا على ذلك (١٣٧٩: ١٢٥/٥)، فكان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم غضبًا لتخلف كعب رضي الله عنه؛ لأنه قد بايع على الجهاد، كما بايع غيره من الأنصار، وكذلك المعلم، والوالد يجب أن يتبعا سنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الغرض التربوي لقيمة ضحك المغضب في المواقف التي تستدعيه.

٤- ضحك الإيناس:

النفس البشرية مجبولة على حب الإيناس والمؤانسة، وبالابتسامة والضِّحكة يمكن أن يأسر الإنسان قلوب الناس، ويستجلب مودتهم، يقول الإمام الزمخشري رحمه الله: الإيناس: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء، ويقال: الإنس لظهورهم، كما قيل الجنّ لاستتارهم وقيل هو إبصار ما يؤنس به.(١٤٠٧: ٥٣/٣).

إن التودد إلى الناس مطلبٌ شرعيٌ وسلوك فطري، يسعى إليه ذوو النفوس الرفيعة والهمم العالية؛ لأنه من حسن الخلق الذي عرَّفه العلماء أنه: بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وألا تغضب ولا تحتد، وأن تحتمل ما يكون من الناس (ابن رجب، ١٤٢٢: ٤٥٧/١). ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن

يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق »(ابن حجر،١٣٧٩ :٤٥٩/١٠). وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن حسن الخلق، والمؤانسة من القيم المكتسبة التي ينبغي للمسلم معلمًا ومتعلمًا مجاهدة نفسه عليها وترويضها عليها.

والأحاديث التي تشير إلى أهمية هذا الغرض التربوي منها حديث جَرِيرٍ رضي الله عنه: « مَا حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهى، ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: اللهم ثبته، واجعله هاديًا مهديًا» (البخاري،١٤٢٢: ٦٥/٤) وفيه إشارة إلى أن الرجل الوجيه فى قومه له حرمة ومكانة على من هو دونه؛ لأن جريرًا كان سيد قومه، وأن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو منافٍ للتكبر وجالب للمودة، وأنه لا بأس للعالم والإمام إذا أشار إلى إنسان فى مخاطبته أو غيرها أن يضع عليه يده، ويضرب بعض جسده، وذلك من التواضع وفيه استمالة النفوس (ابن بطال،١٤٢٣: ١٩٣/٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث، وعنده رجل من أهل البادية: "أن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، قال: فبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء"، فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشيًا، أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم (البخاري، ١٤٢٢: ١٠٨/٣)، وضحك النبي صلى الله عليه وسلم فيه إيناس لهذا الأعرابي، وإشادة بفطانته على أن لكل إنسان هوايته المفضلة التي لا يشغله ولا يغنيه عنها شيء مهما عظم قدره حيث إن الجنة بما فيها لم تنس هذا الرجل حبه للزراعة، فسأل ربه ذلك، وهو غرض تربوي واضح من أغراض ضحكه صلى الله عليه وسلم.

٦ – ضحك التأسي:

غاية المؤمن تحصيل الهداية الموصلة إلى دار السعادة، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] وقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨]وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وهذه الآية –كما قال ابن كثير–: " أصل كبير في التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أقواله، وأفعاله، وأحواله"(١٤٢٠: ٣٩١/٦)، وهذه الأسوة إنما يسلكها ويُوفَّق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر؛ فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله تعالى، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثّه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم، وإن شرف المؤمن ومنزلته إنما تقاس باتباعه، فكلما كان تحرّيه للسنة أكثر كان بالدرجات العلى أحقّ وأجدر، ولهذا كان العلماء السابقون من السلف الصالح يجعلون معيار من يؤخذ عنه العلم – وهو أشرف مأخوذ– تمسّكه بالسنة، كما قال إبراهيم النخعي – رحمه الله–: "كانوا إذا أتوا الرجل يأخذون عنه العلم نظروا إلى صلاته، وإلى سنته، وإلى هيئته؛ ثم يأخذون عنه"(الدارمي،١٤١٢: ٣٩٨/١). وقال ابن النجار الحنبلي: "التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم — هو فعلك كما فعل لأجل أنه فعل، وأما التأسي في الترك فهو أن تترك ما ترك لأجل أنه ترك" (١٤١٨: ١٩٦ /٢).

ولقد حرص أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– على الخير والرغبة في التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم – التأسي الكامل، فرضي الله عنهم أجمعين. ومن ذلك تأسيهم به في الضحك والتبسم؛ ليكون غرضًا مهمًا من الأغراض التربوية لهذه القيمة؛ فقد روى الإمام أحمد عن علي بن ربيعة قال: رأيت عليّا رضي الله عنه أتي بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى عليها قال: الحمد لله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣–١٤] ثم حمد الله ثلاثًا وكبَّر ثلاثًا، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي

فاغفر لي، ثم ضحك فقلت له: مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال على رضي الله عنه: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت، ثم ضحك فقلت: مم ضحكت يا رسول الله: فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال: رب اغفر لي ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري» (ابن حنبل،١٤٢١: ١٤٨/٢)، وعن أمّ الدرداء رضي الله تعالى عنها قالت: كان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه لا يحدث بحديثٍ إلا تبسَّم فيه، فقلت: إني أخشى أن يحمقك الناس، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا يحدث بحديث إلا تبسَّمَ [مجمع الزوائد ١٣١/١]

وخلاصة القول أن الأحاديث النبوية تبين بجلاء عناية النبي صلى الله عليه وسلم بقيمة التبسم والضحك واستخدامه لها في تربيته وتعليمه وتوجيهاته، فقد كانت من أبرز وسائل التفاعل بين النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، لإيصال المعلومات والسلوك والاتجاهات، وكانت أكثر قدرة على توصيل الاتجاهات والمشاعر من اللغة اللفظية، وأكثر ثباتاً في الذاكرة؛ ولذا تحققت أغراضها التربوية في ذلك الرعيل المبارك متعلمي مدرسة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وتحولت لديهم إلى سلوك تطبيقي، لا تستغني عنه التربية الراشدة في المجتمعات الإسلامية.

التطبيقات التربوية لأحاديث التبسم والضحك:

إن عملية ممارسة قيمة التبسم والضحك من قبل أفراد المجتمع المسلم عامَّةً، وممن يباشرون عملية التربية والتعليم خاصَّةً، كما جاءت في نصوص القرآن الكريم، وسنة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم تطبيق تربوي "يحمل رسالة معينة، تتمثل في وصف الأحداث، والأفكار، والمشاعر، وردود الأفعال، بهدف تحقيق التأثير في أفكار المستقبل لتعديلها، والتأثير في اتجاهاته وسلوكه، وعلى المربين (الذين هم القدوة) التنبه لهذا الأمر، وإعطاؤه حقه من العناية والاهتمام "(العمري،١٤٣٤: ١٧٤)، ويلحق بهم كل من يحمل مسؤوليه العلم، والتعلم؛ من الآباء والأمهات، وطلبة العلم.

ويمكن تقرير أمر مهم لممارسة هذه القيمة وهو أن ما ينبغي أن يقتدى به من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم هو ما واظب عليه من ذلك، ولهذا سوف يورد البحث مجموعة من التطبيقات التربوية المستنبطة من النصوص المتعلقة بقيمة التبسم والضحك التي سبقت الإشارة إليها، أو غيرها لتكون دليلًا لفهم هذه القيمة وتطبيقها من قبل: الوالدين، والمعلم، والمتعلم، وهم أهم أقطاب العملية التربوية، التي يجب إضافتها مع أهداف هذه القيمة إلى محتوى المنهج الذي يجب تدريسه في المؤسسات التربوية لنشر هذه القيمة والعناية بها.

أولًا: الوالدان:

للوالدين دورٌ مهمٌ في ترسيخ القيم والمعتقدات في نفوس الأطفال، حيث إنَّ النمو الانفعالي للطفل يسير خلال السنوات الأولى بشكل تدريجي متأثرًا بالسلوك الانفعالي للمحيطين به، فهو يتلقى خلاصة الخبرة من والديه منذ ولادته؛ بدءًا من محاكاة ما يفعلانه، أو يقولانه، وبفضل رعايتهم له صحيًا واجتماعيًا يشب وينمو، وتكتمل ملكاته وقدراته الذهنية. (القصاص، ٢٠٠٨: ٣)، ولتعليم الوالدين مهارات التواصل أثر فاعل في بناء الشخصية المتكاملة للطفل؛ ولذا يجب عليهما أن يتعلما المهارات والأساليب المتعلقة بحاجات نمو الأبناء؛ من أجل تطبيقها، ولا يكون دورهما تقليديًا فقط؛ كما يرى Kaiser & Hancock,(2003) (أرجو التأكد من الجملة)

ولعل أهم ما ينبغي الحرص عليه هو التكامل بين مختلف أساليب ومهارات تنمية القيم السلوكية لدى الأبناء من خلال التوازن بين الأبعاد الأساسية لكل قيمة وهي: البعد المعرفي، والبعد الوجداني، والبعد السلوكي، ويمكن إيراد جملة من التطبيقات لقيمة التبسم والضحك، التي يستطيع الوالدان استخدامها لغرس هذه القيمة لدى أبنائهم بأبعادها الثلاث:

١- يستطيع الولدان أن يوصلا رسائل إيجابية للأبناء من خلال التبسم أمامهم في أثناء الحديث إليهم فيستجيبون لهم؛ إذ إن الابتسامة فيها شيء من التأثير إذا وظفت في مقامها الملائم، أما إذا أدرك الأبناء فيجب على الوالدين أن يقدما لهم المعرفة التي تناسب سنهم عن هذه القيمة، وفي مقدمة ذلك: بيان أنها من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه طلبًا لثوابه، وأنها صفة دائمة للنبي المعلم صلى الله عليه وسلم، وأن المسلم مطالب بالتأسي به فيها، وذلك من خلال النصوص التي سبقت الإشارة إليها في الأغراض التربوية لهذه القيمة.

٢- نقل الرسائل الوجدانية التي كما يقول الفقي (١٣٩٠) تشمل جميع الأحوال النفسية التي يقوى فيها شعور الإنسان مع ما يصاحبها من لذة وألم؛ فالجوع، والعطش، والحب، والبغض، والسرور، والحزن، واليأس، والرجاء، كلها وجدانيات تصل إلى النفس فتحدث لذةً أو ألماً (ص ٣٧)، ومن تلك الوجدانيات التي تحققها قيمة التبسم والضحك الواردة في السنة النبوية والتي يمكن أن يطبقها الوالدان في تربية الأبناء الآتي:

أ–الفرح والسرور:

على الوالدين أن لا يدعا لحظات الفرح والسرور التي يعيشها الأبناء تمر دون أن يرسلا لهم رسائل وجدانية تعبر عن مشاركتهم لهم تلك اللحظات، ومن الأمثلة التي يمكن للوالدين توظيفها، ما تقدم إيراده في حديث أنس رضي الله عنه: (بينما المسلمون في صلاة الفجر لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم صفوف، فتبسم يضحك، ونكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل له الصف، فظن أنه يريد الخروج، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم...)، فهذه الرسالة التي نصها: التبسم والضحك الصادر من النبي المربي صلى الله عليه وسلم ومضمونها: الفرح بما كان عليه الصحابة من الاجتماع في الصلاة، بلغت الصحابة فتمكنت منهم حتى كادوا أن يفتتنوا من ذلك الفرح. فيستطيع الوالدان مشاركة الأبناء أفراحهم، بابتسامة عريضة تحمل الفرح بذلك النجاح، عندما يتم الابن أو البنت حفظ جزءٍ من كتاب الله تعالى مثلًا، ويأتي مسرعًا إلى أبيه أو أمه ليبشره، فعليه أن يستجيب لذلك الموقف، فيضحك سرورًا بذلك النجاح الذي حققه؛ لأن هذه الرسالة الوجدانية ستعزز هذا النجاح، فيسعى الابن أو البنت إلى تكراره، وحينما تكون ردة الفعل من قبل الأب أو الأم ابتسامة باردة أو وجهًا جامدًا غير معبر عن شعور الفرح فحينها ستصل رسالة سلبية قد يبقى أثرها طويلًا (العمري،١٤٣٤: ١٨١).

ب – التعجب:

في الأحاديث النبوية الشريفة التي تم إيرادها في هدف الضحك والتبسم للتعجب رسائل وجدانية كثيرة تفيد التعجب، وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذه القيمة في إيصالها إلى الصحابة رضي الله عنهم.

ويمكن للوالدين من خلال التبسم والضحك، توجيه هذه الرسالة إلى الأبناء، فحينما يحدث من الأبناء ما يستدعي التعجب، يحسن بهم أن يظهروا ذلك عن طريق التبسم أو الضحك، وتطبيقات التعجب في هذا الجانب كثيرة لكثرة دواعي التعجب، فيتعجب من الأمر غير المألوف، ويتعجب إعجابًا بالشيء إذا أعجبه، ويمكن للوالدين الاستفادة منها في تعزيز إنجاز الأبناء، أو تنبيههم على سلوك غير مألوف مع إعطاء البديل المناسب.

ت – الملاطفة والموافقة:

الأبناء بل كل الناس ـ بحاجةٍ إلى كنفٍ رحيم، وبشاشةٍ سمحة وودٍ يسعهم، وحلمٍ لا يضيق بجهلهم، ومن أجل هذا تأتي الرحمة الربانية لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الرسول القدوة؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩] فما غضب عليه الصلاة

والسلام لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه، ووسعهم حلمه وبره (الصلابي،١٤٢٢: ٤١٢/١)، وكان صلى الله عليه وسلم يلين الكلام، ويهتم بملاطفة الناس، ويحسن معاملتهم، ومداعبتهم، ويضحك معهم، ويتبسم لهم، فقد كان يسمع أصحابه يتحدثون في أمور الجاهلية —وهم في المسجد– فيمر بهم ويتبسم؛ فلا يرَى غضاضةً في أن يبتسِم مع صحابته، كما تقدم في حديث جابر بن سمرة، وتلطف مع عبد الله بن مغفل رضي الله في غزوة خيبر عندما استأثر بجراب الشحم، والتفت يبتسم إليه، ووافق على تصرفات الرجل الذي كان يلقب حمارًا، حيث كان يأتي بالسلعة وصاحبها للنبي صلى الله عليه وسلم، ويطلب منه دفع القيمة، فلا يزيد على أن يضحك صلى الله عليه وسلم ويأمر بدفعها، ونهى الصحابة عن لعنه عندما جلد في شرب الخمر، وشهد أنه يحب الله ورسوله، وغيرها من المواقف التي كان صلى الله عليه وسلم يقابلها بالتبسم والضحك ملاطفةً لأصحابها، وموافقةً على تصرفاتهم.

وللوالدين في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فعليهم استخدام قيمة التبسم والضحك في ملاطفة الأبناء، والبشاشة لهم، وموافقتهم على التصرفات غير المحرمة شرعًا، أو الممقوتة عرفًا، والرحمة بهم، والبعد عن الغلظة والفظاظة، التي تنفرهم، وربما تحدث لديهم ردود فعل غير مرغوبة، تنأى بهم عن التزام هذه القيمة.

ث –الإيناس:

بالابتسامة والضِّحكة الصافيتين الصادقتين يستطيع الوالدان أنْ يأسرا قلوب الأبناء، ويستجلبا مودتهم، ويتجنبا عداوتهم التي حذَّر الله تعالى منها، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[التغابن:١٤]يقول الإمام الزمخشري في تفسير الآية(١٤٠٧: ٥٤٩/٤):" إنّ من الأزواج أزواجًا يعادين بعولتهنّ ويخاصمنهم ويجلبن عليهم، ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى فَاحْذَرُوهُمْ الضمير للعدوّ أو للأزواج والأولاد جميعا. أي: لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدوّ، فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم، وَإِنْ تَعْفُوا عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها، فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم".

وفي معرفة الوالدين للمواقف التي استخدم فيها النبي صلى الله عليه وسلم الضحك والتبسم من أجل الايناس واستجلاب المودة التي تمت الإشارة إليها في هذا البحث وغيرها، وتطبيقها في تربية أبنائهم ما يحقق هذه الأهداف، ويبعدهم عن سبيل التردي والانحراف، ويحفزهم على السلوك السوي، ومن تلك المواقف، ما ورد في حديث الرجل من أهل الجنة الذي استأذن ربه في الزرع، ومشاركة الأعرابي في الموقف التعليمي بقوله: "يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأمَّا نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ لينقل إلى ذلك الأعرابي رسالة إيناس و تودد حيث تمكن من قلب ذلك الأعرابي بهذه الرسالة التي حملتها تلك الضحكة الصادقة، والمعبرة، والتي أدركها الأعرابي، واستقرت في قلبه درسًا من مشكاة النبوة، ولم يحتج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غيرها لبيان إيناسه له.

فينبغي للوالدين أن يُبلغا هذه الرسالة الوجدانية إلى الأبناء، فعندما يتحدث الطفل إلى أبيه أو أمه بحديثٍ مباح، فيحكي له مثلاً؛ قصة من القصص التي سمعها الابن من معلمه أو صديقه أو سمعتها الابنة من معلمتها، أو صديقتها، فينبغي له أن يرسل ضحكة تحمل الأنس إليه، حتى يأنس إلى الأب والأم، ويعتاد الحديث وطلاقة الكلام في مستقبله.

٣ – بث العواطف والمشاعر الإيجابية؛ فالابتسامة المعبرة عن صدق العواطف والمشاعر من الوالدين لها تأثير بالغ في الأبناء، وتشبع لديهم الحاجة إلى الحب والتقدير والتقبل، والطمأنينة والأمن، والعناية والاهتمام، وفي السنة النبوية كثيرٌ من المواقف التي استخدم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم التبسم والضحك مع الصحابة رضي الله عنهم لإشباع هذه الحاجات في نفوسهم، وقد أورد البحث مجموعة منها مع بيان أغراضها التربوية ويستطيع الوالدان فهم مغزى كل حديث وتحويله لسلوك يمارسه في تربية أبنائه على هذه القيمة، وذلك مما يعين الابن على ترتيب أفكاره وتسلسلها، ويدربه على الإصغاء، وفهم ما يسمعه من الآخرين، و ينمي شخصيته، ويصقلها ويزيده قربًا من والده ووالدته.

كما أن المشاعر والعواطف الإيجابية تساعد على الشفاء، فالضحك في وجه الطفل يمكن أن يغير الحالة الصحية له؛ فبضحكة وابتسامة صادقة من الأم أو الأب في وجه طفلهما المريض تتحسن حالته النفسية، وترتفع كفاءة جهازه المناعي مما يمكنه من مقاومة الأمراض، بإذن الله تعالى. (علي، ٢٠١٠: ٨–١٠).

و على سبيل المثال: يمكن للوالدين الاستفادة من موقف النبي الوالد المعلم صلى الله عليه وسلم مع ابنته فاطمة رضي الله عنها الوارد في حديث عائشة، قالت: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مرحبا بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثًا فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه دوننا، ثم تبكين؟ وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني " أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عامٍ مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقًا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم إنه ساربي، فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة» فضحكت لذلك (مسلم،د.ت:٤/١٩٠٤)، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما رأى بكاء ابنته رضي الله عنها وحزنها في المرة الأولى، سارها مرة أخرى ففرحت وضحكت، وهذا ما يطلق عليه عكس المشاعر، وهي مهارة ينبغي على الوالدين إتقانها، وحقيقتها الإصغاء الفعّال لمعاني الفرد ومفاهيمه، وملاحظة السلوك غير اللفظي، والاستجابة لمعاني الفرد الانفعالية (بشقة،٢٠١٠: ٥٢١)، وبإمكان الوالدين تطبيق هذه المهارة مع أبنائهم، وعكس مشاعر الحزن في حال الفشل في امتحان دراسي مثلًا أو أي موقف من المواقف الجالبة للحزن، و تحويله إلى حالة من الفرح والسرور، من خلال الضحكة والابتسامة المشعرة بالطمأنينة، فيتحول الهلع و الخوف إلى الهدوء و الرضا.

تلك نماذج للتطبيقات التربوية لقيمة التبسم والضحك الواردة في السنة النبوية، التي يجب على الوالدين تعلمها، وتطبيقها في تربية الأبناء.

ثانيًا: المعلم والمتعلم:

المعلم هو العنصر الأساس في العملية التعليمية، حيث إنَّه الأكثر التصاقًا بالمتعلم، ولخصائصه المعرفية والانفعالية الدور البارز في فعالية جودة المتعلم، ومن ذلك استخدامه لتعبيرات وجهه، وقدرته على توظيفها التوظيف الأمثل خلال أدائه لرسالته السامية، فالرسائل غير اللفظية ومنها التبسم والضحك؛ مكون أساسي من مكونات التواصل في العملية التعليمية إلا إنَّ كثيرًا من المعلمين يغفلُ عن توظيف الابتسامة في التعليم، إمَّا لجهله بها أو لغفلته عنها. وتفعيل هذه القيمة يغني المعلم عن ترديد عبارات الرضا والارتياح تجاه عملٍ معين أو قولٍ معين، فهناك من تؤثر فيه الابتسامة والبشاشة

أكثر مما لو قلت له: أحسنت أو هذا جيد هكذا دون مشاركة الابتسامة وتعابير الوجه التي تدل على الارتياح والرضا (الشلهوب، ١٤١٧: ٥٥)، واستخدام التبسم والضحك من قبل المعلم يسهم بفاعلية عالية في إيصال المعرفة، وتعديل السلوك، وبناء الاتجاهات الإيجابية لدى المتعلم الذي سوف يتربى عليها ثم ينقلها لغيره، كما نقلها الصحابة الذين تربوا في مدرسة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم أمثال علي، وأبي الدرداء وغيرهم رضي الله عنهم.

وعلى المعلم أن يوقن أنَّ المتعلم قبل أن يأخذ عنه العلم، فإنَّه يقرأ أولًا ملامح وجهه، وسطور جبينه، ونظرات عينيه، فإن أراد أن يكون اتصاله مع متعلميه فاعلًا فعليه: أن يكون باسمًا في وجوههم، حتى يكون التبسم سجية له، يعرفه بها طلابه؛ فالمعلم كثير التبسم، ينظر إليه المتعلم على أنَّه محب، وودود، ويمكن التواصل معه بسهولة والاعتماد عليه، كما أنَّ التبسم يكون في العادة معديًا، فينتقل بسرعة إلى المتعلم، الذي يستجيب له إيجابيًّا ويزيد تعلمه، ويعلمه لغيره.

وللمعلم الأثر البالغ في توجيه المتعلم، والتأثير عليه سلبًا كان أم إيجابًا، فالمتعلم إذا أحب معلمه جعله قدوته الحية، ومثله الأعلى، وقلَّده في كل ما يأتي ويذر من الأقوال والأفعال، بل والأفكار والاعتقادات، وإذا أراد المعلم أن يربي المتعلم على قيمة التبسم والضحك المشروع؛ فلا بد أن يكون هو نفسه كذلك؛ ليكون قدوة لطلابه، ومثالًا حيًا في تمثل هذه القيمة، والمعلم الكفء يستطيع تحقيق أقصى درجات التواصل والتفاعل مع المتعلم ليحقق له ومعه النمو الأمثل لجوانب الشخصية كافةً باستخدام قيمة التبسم والضحك تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي سوى بينهما في الأجر والخيرية؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس رجلان، عالم ومتعلم، هما في الأجر سواء، ولا خير فيما بينهما من الناس» (الطبراني،٢٠٠١: ٣٠٧/٧)، وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس لا خير فيه »".(الهيثمي ،١٤١٤: ١٢٢/١)، فالمتعلم تابع لمعلمه في تمثل هذه القيمة فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يضحكون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يراهم فيتبسم.

وفيما يلي نماذج من التطبيقات التربوية لقيمة التبسم والضحك التي من خلالها – بالإضافة إلى اللغة المنطوقة – يستطيع كلٌ من المعلم والمتعلم تحقيق الأهداف التربوية لهذه القيمة:

١- يمكن للمعلم والمتعلم من خلال تعبيرات الوجه والتبسم والضحك إيصال رسائل متعددة، سواء أكانت معرفية، أم وجدانية، تغني عن ترديد عبارات الرضا والارتياح تجاه سلوكٍ معين أو إجابةٍ معينة، أو الفرح والسرور عند تحقيق إنجازٍ معين أو الغضب وغير ذلك من الانفعالات عند وجود مثيراتها، فتغير ملامح الوجه يعبر عن الانفعالات المختلفة (العمري،١٤٣٢: ١٨٥)، والأمثلة على ذلك في السنة النبوية كثيرة يجب على كلٍ من المعلم والمتعلم أن يتعرف إليها، ويمارسها اقتداءًا بالنبي المعلم صلى الله عليه وسلم داخل قاعة الدراسة أم خارجها؛ ليحقق أهداف العملية التربوية، ومنها إضافة إلى ما سبق، ما رواه طارق بن شهاب، قال: سمعت ابن مسعود، يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا، لئن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك «فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره» يعني: قوله (البخاري، ١٤٢٢: ٧٣/٥).فقوله: (أشرق وجهه)، من الْإِشْرَاق، أَي: استنار. وقَوْله: (وسره) يَعْنِي قَوْله، أَي: سر النَّبِي صلى الله عليه وسلم، قول المقداد، رضي الله عنه ، واستنارة الوجه وسروره من مقدمات التبسم إعجابًا بقول هذا الصحابي المسدد، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يبد استجابة لفظية ؛بل اكتفى بإرسال رسالة وجدانية دلالتها الفرح، وهكذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم يفعلون؛ فعن بلال بن سعد قال: أدركتهم يشتدون بين الأغراض، يضحك بعضهم إلى بعض؛ فإذا

كان الليل: كانوا رهبانًا.(الأصبهاني، ١٣٩٤: ٥/ ٢٢٤).

٢- تأكيد المعلم على صحة معلومة أدلى بها المتعلم من خلال ابتسامة موافقة، يفهم منها المتعلم إقرار المعلم بصحة الإجابة، أو صحة التصرف العملي في موقفٍ ما، ومن الأمثلة على ذلك فيما تقدم تبسم النبي صلى الله عليه وسلم لإجابة صهيب رضي الله عنه، وضحكه من تصرف الصحابة الذين أخذوا الجعل من الحي الذي لدغ سيده فرقاه أحدهم بسورة الفاتحة.

٣- رفض المعلم للسلوكيات الخطأ، أو المعاقب عليها؛ فإذا صدر من المتعلم مخالفة، تبسم إليه المعلم تبسم المغضب ليفهم منها الرفض لتلك المخالفة، تأسيًا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم في قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك؛ وفيه: «... فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني... الحديث (البخاري، ١٤٢٢: ٣/٦)، فالنَّبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث يعرض عن كعب بن مالك رضي الله عنه عقوبةً له؛ لتخلفه عن غزوة تبوك.

٤- تعزيز التعلم من خلال التواصل بالضحك والابتسامة للثناء على المتعلم الذي يجيب إجابة صحيحة، أو يظهر تميزًا في مجالٍ ما، بنظرة إعجاب وتقدير من المعلم مصحوبة بابتسامة تعلو محياه، يفهم منها المتعلم، أن ذلك ثناءًا وإعجابًا به، وأمثلة القدوة في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم سبقت الإشارة إلى بعضها عند الحديث عن أهداف التبسم والضحك من أجل الإعجاب والتعجب، والإيناس والملاطفة، فعلى كلٍ من المعلم والمتعلم أن يستوعب تلك المواقف ويمارسها.

٥- استخدام التبسم والضحك لزيادة درجة القرب النفسي بين المعلم والمتعلم، كما ورد في حديث جرير رضي الله عنه، وحديث عمر رضي الله عنه، المتقدمة، وغيرها؛ فالابتسامة الدائمة للمعلم الأول صلى الله عليه وسلم أذابت الحواجز النفسية فاستطاع الصحابة رضي الله عنهم أن يدخلوا عليه بلا مشقة، وأن يسألوه بكل أريحية، وهذا من أهم عوامل نجاح المعلم، فكلما كان قريبًا إلى المتعلمين استطاع تحقيق أهدافه التعليمية بيسرٍ وسهولة (العمري،١٤٣٤: ١٨٩)، وليكون قدوة للمتعلم لممارسة هذ القيمة، كما مارسها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواقف التي تمت الإشارة إليها في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحديث حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

٦- استخدام الضحك والتبسم في توفير المناخ المناسب للتعلم الذي يتطلب من المعلم مهارات جيدة لفظية وغير لفظية، وأهم المهارات غير اللفظية: تعبيرات الوجه، ومنها الضحك والتبسم، فتبسم المعلم حال دخول قاعة الدرس مع إلقاء السلام، وظهور البشاشة على وجهه، يدخل الطمأنينة والسرور والمتعة في نفوس المتعلمين، ويوفر لهم مناخًا تعليميًا رائعًا، كما يزيد في تحصيلهم، ويغرس في نفوسهم هذه القيمة، ويهيئهم لممارستها، وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتناوبه مع جاره الأنصاري في طلب العلم نموذج واضح لتهيئة المناخ التعليمي؛ وفيه: «... فجئت الغلام، فقلت له: استأذن لعمر، فدخل، ثم رجع إلي، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفًا إذ الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: «فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم» (الطبراني،١٤٠٥: ٢٦٢/٤)، فالحديث يدل دلالة صريحة على أن تبسم النبي صلى الله عليه وسلم قد هيَّأ المناخ التعليمي المناسب،

الذي شعر به عمر رضي الله عنه وأكده بقوله: "فتبسم أخرى، فجلست حين رأيته تبسم"، فهذه الابتسامة النبوية المشرقة بعثت روح الطمأنينة في نفس عمر رضي الله عنه، وجعلته يطمئن للجلوس، ويستأنف الحديث، وعلى المعلم تقع مسؤولية تهيئة المتعلم للتعلم لترتاح نفسه، وينتفع بتلقي العلم، وليأخذ عن معلمه التطبيقات العملية لهذه القيمة.

وخلاصة القول أن هذه التطبيقات التربوية لقيمة الضحك والتبسم يجب الاهتمام بها من قبل المعلم والمتعلم على السواء، لكي تحقق العملية التربوية والتعليمية أثرها في نفوس المتعلمين، وأخلاقهم، وسلوكهم.

خلاصة البحث وتوصياته:

في ضوء ما سبق من جوانب البحث وما تضمنه من آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة عن قيمة التبسم والضحك، وتطبيقاتها التربوية من قبل الأبوين، والمعلم، والمتعلم، خلص البحث إلى النتائج التالية:

١- أن التبسم والضحك قيمة مطلقة وردت أدلتها في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتمثَّلت أهدافها التربوية في التقرب إلى الله تعالى وطلب ثوابه، وإظهار الإعجاب والتعجب، والملاطفة والموافقة، والتنبيه على ما يستدعيه الموقف، والإيناس والمؤانسة، واستمالة النفوس، والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه القيمة التربوية.

٢- أظهرت الأحاديث النبوية ـ الواردة في البحث بجلاء عناية النبي صلى الله عليه وسلم بقيمة التبسم والضحك واستخدامه لها في تربيته وتعليمه وتوجيهاته، فقد كانت من أبرز وسائل التفاعل بين النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم ، لإيصال المعلومات والسلوك والاتجاهات، وكانت أكثر قدرة على توصيل الاتجاهات والمشاعر من اللغة اللفظية، وأكثر ثباتًا في الذاكرة، ولم يكن استخدامه صلى الله عليه وسلم لهذه القيمة حدثًا عارضًا في التربية والتعليم؛ بل كان عملًا مقصودًا؛ بدلالة كثرته وتنوُّعه، وتحقق أثرُه على الصحابة رضي الله عنهم، الذي ظهر جليًّا في حكايتهم له واهتمامهم بذِكره في الحديث؛ وممارسته مما يدل على قوة تأثيره عليهم.

٣- إمكانية تطبيق قيمة التبسم والضحك من قبل الوالدين في تربية أبنائهم؛ لتحقيق مجموعة من الأهداف لغرس هذه القيمة في نفوسهم؛ ومنها إيصال رسائل إيجابية للأبناء عن هذه القيمة كونها قربةً لله تعالى، وتأسيًا بالنبي المعلم صلى الله عليه وسلم في المقام الأول، بالإضافة إلى ما تغرسه في نفوسهم من مشاعر الفرح والسرور والتعجب والإعجاب، والإيناس والملاطفة، وغيرها من الأغراض التي وردت في السنة النبوية، والعمل على تحويلها إلى سلوك عملي من قبل الوالدين بصفتهما القدوة للأبناء.

٤- أن تطبيق المعلم والمتعلم لقيمة التبسم والضحك يمكنهما من إيصال رسائل تعليمية إيجابية متعددة؛ معرفية، ووجدانية، وسلوكية، تغني عن ترديد عبارات الرضا والارتياح تجاه سلوك معين أو إجابة معينة، أو الفرح والسرور عند تحقيق إنجاز معين أو الغضب لتصرفٍ ما، وغير ذلك من الانفعالات عند وجود مثيراتها، أو لتأكيد المعلم على صحة معلومة أدلى بها المتعلم من خلال ابتسامة موافقة يفهم منها المتعلم إقرار المعلم بصحة الإجابة، أو صحة التصرف العملي في موقفٍ ما، أو رفض المعلم للسلوكيات الخطأ، أو العقوبة عليها، أو للثناء على المتعلم الذي يظهر تميزًا في مجالٍ ما، بنظرة إعجاب و تقدير من المعلم مصحوبة بابتسامة تعلو محياه، يفهم منها المتعلم، أن ذلك ثناء عليه وإعجاب به، أو لزيادة درجة القرب النفسي بين المعلم والمتعلم، وتوفير المناخ المناسب للتعلم الذي يتطلب من المعلم، والمتعلم مهارات جيدة لفظية وغير لفظية.

التوصيات:

١- التركيز على الجانب التطبيقي لقيمة التبسم والضحك في التربية من قبل الوالدين والمعلم والمتعلم يغرس هذه القيمة في

بناء الشخصية المسلمة من خلال زيادة الوعي بأهميتها، وأغراضها التربوية، وتمثلها واقعًا ملموسًا لتكون جزءًا من مهامهم التربوية؛ فالمربي الحصيف هو الذي يستطيع أن يتغلَّب على عواطفه، ويبتسم حتى في أحلك المواقف كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا ينبغي أن يكون المتعلم، والوالدان.

٢- استحداث مقرر أساسي يسمى (مقرر القيم) يبدأ من أول مرحلة في السلم التعليمي، إلى نهايته، يتعلم من خلاله أبناء الأمة القيم التي جاء بها الإسلام، ومنها قيمة التبسم والضحك، على أن يراعى في إعداده احتياجات المراحل العمرية المختلفة، ومتطلبات العصر، بما يعين الدارسين على فهم القيم وإدراكها، وتطبيقها في الحياة على بصيرة وبينة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٣- نشر الوعي بأهمية القيم الإسلامية المستنبطة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتحويلها إلى ممارسات سلوكية من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم

ابن أبي العز ،صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، (١٤٢٦هـ). شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي).

بن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الشيباني(١٣٩٩هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف (١٤٢٣هـ).شرح صحيح البخارى. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣٧٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.

ابن حنبل، أبوعبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٤٢١هـ).مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن (١٤٢٤هـ).جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، الرياض: دار السلامة للطباعة والنشر.

ابن سعد، أبوعبد الله محمد بن سعد (١٩٦٨ م).الطبقات الكبرى. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي (١٣٩٩هـ). معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الفكر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (د.ت). تفسير القرآن العظيم. المحقق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية. ونسخة المحقق: سامي محمد سلامة(١٤٢٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (د.ت). سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المدينة المنورة: دار إحياء الكتب العربية.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (١٤١٤ هـ). لسان العرب. بيروت: دار صار.

ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد(١٤١٨هـ). شرح الكوكب المنير. المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الرياض: مكتبة العبيكان.

أبونعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (١٣٩٤هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار السعادة: مصر.

البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ).الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.

البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٠٩هـ). الأدب المفرد. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو (٢٠٠٩م). مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار. المحقق: عادل بن سعد، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (١٤٠٣هـ). شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرناؤوط–محمد زهير الشاويش، دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي.

البيهقي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (١٤٢١هـ). السنن الكبرى. حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، الرياض: مؤسسة الرسالة.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (١٤٠٨). الآداب. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (١٣٩٥هـ). **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (١٩٨٥).مشكاة المصابيح. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (١٤١٢هـ).مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي). تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(١٤٠٧ هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني(د.ت). سبل السلام. الناشر: دار الحديث.

الصَّلاَّبي، عَلي مُحَمَّد(١٤٢٢ هـ). **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)**. مكتبة الصحابة: الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين:القاهرة.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (١٤٠٥هـ). مسند الشاميين. المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (د.ت) المعجم الكبير. المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (د.ت). المعجم الأوسط. المحقق: طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين.

العيني، أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى(د.ت).عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد (١٣٨٤هـ). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية.

القسطلاني، إ أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر (١٣٢٣هـ).إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة(د . ت).المعجم الوسيط. جمع (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / مُحَمَّد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

مسلم، ابن الحجاج القشيري (٢٠١٠م).صحيح مسلم. الرياض: مكتبة دار السلام الرياض.

المناوي، زين الدين مُحَمَّد (١٣٥٦هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغي. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

النسائي، أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب (١٤٢١هـ) . السنن الكبرى. حققه: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (١٤١٤هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. المحقق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي.

المراجع العربية:

ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن مُحَمَّد(١٤٢٠).أمالي ابن بشران. تحقيق: أحمد بن سليمان، الرياض: دار الوطن للنشر.

الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين (١٤٢١هـ). التوسل أنواعه وأحكامه. المحقق: مُحَمَّد عيد العباسي، الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين(١٤٢٢هـ).**مُخْتَصَر** صَحِيحُ الإِمَامِ البخاري. **الر**ياض: مكتَبَة المِعارف للنَّشْر والتوزيع.

الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين(١٤١٥هـ).سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

بشقة، سماح(٢٠١٠م).أثر مهارة التواصل كمدخل للاندماج في الوضعية البنائية في ضوء ازدواجية اللغة، اللغة الأمازغية نموذجا(مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص، ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، الجزائر،٢٠١٠م،ص ٥٢١).

الحقباني، تركي بن فايز(١٤٣٤هـ). لغة الابتسامة. الرياض: العبيكان.

الحلو، فاطمة عرفات(١٤٢٩هـ).الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين. دراسة قرآنية موضوعية، كلية أصول الدين، جامعة غزة الإسلامية، فلسطين).

الخطيب، مُحَمَّد شريف(١٤٢٧هـ).لغة الجسم في السنة النبوية. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن.

خياط، مُحَمَّد جميل بن علي (١٤١٦هـ – ١٩٦٩م). المبادئ والقيم في التربية الإسلامية. مكة المكرمة: جامعة أم القرى – مركز البحوث التربوية والنفسية.

ربايعة ، أسامة جميل عبدالغني(١٤٣١هـ.). لغة الجسم في القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة، بقسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

زواوى، أحمد بن عبد الفتاح (د.ت).شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. الإسكندرية: دار القمة.

السقاف، علوي بن عبد القادر(١٤٢٦هـ). صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة. الناشر : الدرر السنية – دار الهجرة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (١٤٢٠هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة

السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني: شرح العقيدة الواسطية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،

http://www.islamweb.net

الشلهوب، فؤاد بن عبدالعزيز(١٤١٧هـ).المعلم الأول. الرياض: دار القاسم.

الشهري، مُحَمَّد علي(١٤٣٠هـ): التربية الوجدانية وتطبيقاتها التربوية في المرحلة الابتدائية، بحث ماجستير غير منشور، كلية التربية جامعة أم القرى.

صيام، محمود خالد حسني(١٤٣٧هـ). التبسم والضحك في السنة النبوية ـ دراسة موضوعية ـ رسالة ماجستير في الحديث وعلومه، كلية الأصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.

العثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد (١٤٢٣ هـ).تفسير الفاتحة والبقرة. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

العكبري، عبد الله بن الحسين(د.ت).شرح ديوان المتنبي. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، بيروت: دار المعرفة.

علوان، فهمي مُحَمَّد(د ـ ت).القيم الضرورية وتعاصر التشريع. الهيئة المصرية للكتاب.

علي، مُحَمَّد(٢٠١٠م).الضحك الطبيب الغائب. (مجلة الدواء ، أغسطس، ٢٠١٠م،ع١٠).

العمري، مُحَمَّد بن عوض بن هاذل(١٤٣٤هـ).الدلالات التربوية لتعبيرات الوجه من خلال صحيح الإمام البخاري وتطبيقاتها التربوية. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين ـ الجامعة الإسلامية.

الفاربي، عبداللطيف وآخرون(١٩٩٤م). **معجم علوم التربية**. الدار البيضاء: مطبعة النجاح.

الفقي، مُحَمَّد سعد(١٣٩٠هـ).النفس أمراضها و علاجها في الشريعة. القاهرة: مكتبة ومطبعة مُحَمَّد علي.

القحطاني، سعيد بن على بن وهف(د.ت). عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة – المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض. الرياض: مطبعة سفير.

القصاص، مهدي مُحَمَّد(٢٠٠٨م) علم الاجتماع العائلي. كلية الآداب، جامعة المنصورة.

مطر، سيف الإسلام علي(١٤٠٦هـ).التغير الاجتماعي. الناشر: دار الوفاء.

المراجع الأجنبية:

Freitas-Magalhães, A., & Castro, E. (2009). The Neuropsychophysiological construction of the human smile. In A. Freitas-Magalhães (Ed.), *Emotional expression: The brain and the face* (pp.1-18). Porto: University Fernando Pessoa Press. ISBN 978-989-643-034-4.

Kaiser, A. & Hancock. T (2003), Teaching Parents New Skills to Support their Young Children's Development. *Infants and Young Children , 16* (1), 9-21.